فاطمة الزهراء

رضي الله عنها

(خير عروس في
أبسط زواج)

obeikandl.com

obeikandl.com

فاطمة الزهراء رضي الله عنها

(خير عروس في أبسط زواج)

المولد والنشأة:

ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ أثناء بناء قريش الكعبة قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنوات، وقد كانت منذ طفولتها وضاءة الجبين بهية الطلعة، حتىٰ إذا شبت وترعرعت كانت أشبه الناس بأبيها.

ففي مهد الإيمان نشأت نشأة جد واعتكاف؛ نشأة وقار وحياء، فكانت ساكنة النفس، طيبة القلب، صافية السريرة، لا تعرف إلا الإيمان.

حنان في تربية البنت:

عن عائشة قالت: ما رأيت أحدًا أشبه كلامًا ولا حديثًا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها، وكذلك كانت هي تصنع.

هجرتها:

هاجرت إلىٰ يثرب بعد الهجرة النبوية بقليل بصحبة أختها أم كلثوم وأم المؤمنين سودة بنت زمعة، حملهن زيد بن حارثة وأبو رافع إلىٰ المدينة حيث استقبلهن رسول الله ﷺ فرحًا بقدومهن.

زواجها بعلي رضي الله عنه:

كان النبي ﷺ قد وعد عليًّا أن يزوجه فاطمة، وهو وعد صادق أنعم به خير البرية علىٰ خير الأبطال.

وعلم أهله من بني هاشم بالخبر فأخذوا يحثونه علىٰ أن يخطبها ولكنه تهيب الموقف.

وقد روىٰ بعد ذلك ما حدث فقال: كانت لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة، فلما قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما أستطيع أن أتكلم، فقال: ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ فسكت فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ قال: نعم، قال: وهل عندك شيء تستحلها به؟ لا

والله يا رسول الله، فقال: ما فعلت بالدرع التي سلحتكها؟ فقلت: عندي، والذي نفسي بيده إنها لحطيمة – أي تحطم السيوف – ما ثمنها أربعمائة درهم.

استشارة البنت:

كان الرسول الكريم يجعل أمر بناته بأيديهن، وقد استنّ استشارتهن في أمر زواجهن، فقال للزهراء: إن عليًّا يذكرك، فسكتت، فزوجها.

إشهار الزواج:

وجمع النبي ﷺ الناس ليشهر الخطبة (**فتبسم رسول الله ﷺ لعلي وقال: يا علىٰ إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة وإني زوجتكها علىٰ أربعمائة مثقال فضة، فقال علي: رضيت يا رسول الله، ثم إن عليًّا خرَّ ساجدًا، فلما رفع رأسه قال الرسول ﷺ: بارك الله لكما، وعليكما، وأسعد جدكما، وأخرج منكما الكثير الطيب، قال أنس: والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب**).

حفل الزفاف وجهاز العروسين:

أخذ علي يعد العدة للزفاف السعيد، فباع بعيرًا – كما قيل – باربعمائة وثمانين درهمًا، فقال النبي ﷺ: «**اجعلوا ثلثين في الطيب، وثلثًا في الثياب**».

وقد وليت أم أيمن رضي الله عنها أمر إعداد جهاز العروس، فكان فيما جهزتها به سرير وخميلة من قطيفة ووسادة من أدم حشوها ليف، وتورة من أدم يغسل فيه، وسقاء ومنخل ومنشفة وقدح ورحاءان وجرتان.

ولما كانت ليلة العرس في أوائل ذي الحجة علىٰ رأس اثنين وعشرين شهرًا من الهجرة أولم علي بن أبي طالب وليمة يبدو أنه بذل فيها الكثير مما أفاء الله عليه من بدر وبني قينقاع، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته.

المجاملات في العرس:

وقدم أخوال النبي من الأنصار لعلي بعض الهدايا العينية مشاركة منهم في إعداد هذه الوليمة علىٰ مألوف عادة الأهل والأقارب.

ولما انتهت الوليمة انتقلت أفضل عروس إلىٰ المنزل الذي أعده علي لسكانهما.

تبسط النبي مع زوج ابنته:

وكان رسول الله ﷺ قد أمر عليًا ألا يدخل علىٰ فاطمة حتىٰ يجيئه، فتبعها بعد قليل من وصولها حتىٰ وقف علىٰ الباب فاستأذن فأذن له فقال...أثم أخي؟ فتعجبت أم

أيمن وقالت وهي تتبسط معه... بأبي أنت وأمي يا رسول الله من أخوك؟ قال.. علي بن أبي طالب... قالت... وكيف يكون أخاك وقد زوجته ابنتك؟

قال: هو ذاك يا أم أيمن، ثم دعا بماء في إناء وتلا بعض آيات القرآن الكريم وهو يحرك الماء بيده، ثم دعا عليها فنضح علىٰ كتفيه وصدره وذراعيه من ذلك الماء، ثم دعا فاطمة فجاءت بغير خمار تعثر في ثوبها حياءً، فنضح عليها من ذلك الماء ثم قال: والله ما آلوت أن زوجتك خير أهلي، ثمعا لهما قائلا ً ... «**اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما**»... ثم انصرف وتركهما يرشفان من السعادة الزوجية الصافية ما شاء الله لهما أن يرتشفا.

مواقف من حياة الزهد:

ويذكر بعض أصحاب السير أن النبي خرج ذات مرة في سفر فوضعت فاطمة مسكتين من ورِق وقلادة وقرطين، وسترت باب البيت لقدوم أبيها وزوجها، فلما قدم النبي دخل عليها ووقف أصحابه علىٰ الباب لا يدرون أيقيمون أم ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج رسول الله وقد عرف الغضب علىٰ وجهه حتىٰ جلس علىٰ المنبر، ففطنت فاطمة أنه فعل ذلك لما رأىٰ من المسكتين والقلادة والستر، فنزعت قرطيها وقلادتها وميكتيها ونزعت الستر، وبعثت به إلىٰ رسول الله، وقالت للرسول: قل له: تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول لك: اجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه قال: قد فعلت، فداها أبوها ثلاث مرات، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقىٰ الكافر منها شربة ماء.

ولم يكن لهما خادم مع كثرة الخدم عند الناس، بل كانا يتعاونان معًا في مهنة البيت، كما يتعاون رسول الله مع أهل بيته فيها.

وكان علي ﷺ يعمل أجيرًا في بعض الأحيان ليكسب قوته بيده، وكان يأتيه رزق وافر من وظيفته كجندي في جيش المسلمين ومن الغنائم التي يغنمها المسلمون من العدو في ميادين الجهاد، ولكنه كان ينفق ذلك كله في سبيل الله ولا يحتفظ لأهل بيته إلا بالكفاف ثقة بالله وتوكلً اعليه، وتفانيًا في طلب مرضاته.

وكانت تعيش معهما في هذا البيت المتواضع فاطمة بنت أسد زوج أبي طالب عم النبي ﷺ وأم علي ﷺ.

ذلك خير لكما من خادم:

عن علىٰ ﷺ أن رسول الله ﷺ لما زوج فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحاءين وسقاءين قال: فقال علىٰ لفاطمة يومًا: لقد سنوت (**سنوت الدلو، أي: جررتها من البئر**) حتىٰ اشتكيت صدري وقد جاء الله بسبي فاذهبىٰ فاستخدمي فقالت: وأنا والله قد طحنت حتىٰ مجلت يداىٰ فأتت النبي فقال: ما جاء بك أي بنية؟ فقالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت، فأتياه جميعًا فذكر له علي حالهما، قال ﷺ: لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصُفّة تتلوىٰ بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا فأتاهما وقد دخلا قطيفتهما، إذا غطيا رؤوسهما بدت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما فثارا فقال: مكانكما، ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ فقالا: بلىٰ، فقال: تسبحان في دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أويتما إلىٰ فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا ثلاثًا وثلاثين، قال علي: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، (**وفي رواية فهو خير لكما من خادم**)[1].

خلافات الزوجية:

ولم تخلُ هذه الحياة -وما خلت حياة آدمي قط- من ساعات خلافات، فإذا حدث شيء من هذا فإنه ينقشع سريعًا بفضل حكمة الرسول ﷺ فقد كان يرقبهما بعين كلها عطف وحنان، وكان يعنىٰ بالنصح والتوفيق بينهما.

1- يروىٰ أن فاطمة أغضبت عليًّا فانصرف عنها إلىٰ المسجد، فجاء النبي ﷺ فسأل عنه فقالت: هو في المسجد، فخرج إليه فوجده مضطجعًا، وقد استغرق في النوم ووجد رداءه قد سقط عنه وخلص التراب إلىٰ ظهره، فجعل يمسح التراب وهو يداعبه قائلاً: «**اجلس يا أبا تراب...اجلس يا أبا تراب**» فكانت هذه الكنية التي أطلقها الرسول الرحيم لأحب الكنىٰ إلىٰ نفسه ﷺ.

2- وقد روي -ولعل ذلك في بداية الحياة الزوجية- أن عليًّا اشتد عليها فقالت: والله لأشكونك إلىٰ رسول الله، فانطلقت وانطلق بإثرها فدخلت علىٰ أفضل الآباء ووقف عليٌ خارج الباب يسمع كلامها، فلما قدمت شكواها أخذ الرسول ﷺ

(1) رواه أحمد في مسنده 1/ 106، من حديث علي ﷺ.

يعلمها في رفق ولين كيف تملك الزوجة زمام زوجها، وأنها لا تصبح أميرة في بيتها إلا إذا تصرفت بحيث تحوز رضا زوجها فتعمل علىٰ راحته وفق طبعه وهواه.

ومما يؤثر من بلاغته وحكمته في ذلك الموقف قوله لها: «**يا بنية اسمعي واستمعي واعقلي..إنه لا إمرة لامرأة لا تأتي هوىٰ زوجها**».

فلما سمع علي تلك النصيحة الموجزة البليغة شعر أنه جار عليها، وعاهد نفسه أن يكف عما كان يصنع، وقال لها: والله لا آتي ما تكرهين أبدًا.

3- وفىٰ أحد الأيام بلغ العتاب بين الزوجين غايته، فقد نما إلىٰ فاطمة أن عليًّا يهم بالزواج من بنت أبي جهل، فذهبت إلىٰ أبيها باكية.....فصعد المنبر والغضب بادٍ عليه وقال: ألا إن بني هاشم بن مغيرة استأذنونىٰ في أن ينكحوا بنتهم عليًا، ألا وإني لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم إلا إن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإن ابنتي بضعة مني، يريبنىٰ ما يريبها ويؤذيني ما آذاها، وإني أتخوف أن تفتن في دينها.

وللقضية وجه آخر غير أن النبي ﷺ يكره أن تؤذىٰ ابنته –وهو أنه لا يرضىٰ أن يجمع بيت علي بين بنت رسول الله وبنت عدو الله.

لماذا فكر علي في هذا الزواج؟

لعله عرض عليه هذا الأمر فخجل أن يرفضه ولم يعطهم وعدًا بالزواج منها، فشاع الخبر وانتشر حتىٰ بلغ فاطمة فجاءت إلىٰ أبيها تستنجد به، وكان القوم قد سبقوا إلىٰ النبي ﷺ يستشيرونه في زواج علي من بنت أبي جهل فكره النبي ﷺ ذلك.

جهادها:

في يوم أحد جرح رسول الله ﷺ جرح وجهه، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة علىٰ رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان علي يسكب عليه بالمجَن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد إلا كثرة فأخذت قطعة حصير فاحرقته حتىٰ صار رمادًا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم.

* وظلت تتعايش مع حياة الجهاد التي كان النبي ﷺ وأصحابه يعيشونها ما بين عبادة وطلب علم ودعوة إلىٰ الله وجهاد في سبيله.

ثم شهدت بعد ذلك غزوة الفتح، وكان لها موقف مشرف عندما رفضت أن تجير أبا سفيان لما طلب منها أن تشفع له عند رسول الله.

وفاة الحبيب ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنا أزواج النبي ﷺ اجتمعنا عنده، لم يغادر منهن واحدة فجاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فلما رآها رحب بها وقال: مرحبًا يا بنتي، ثم أقعدها عن يمينه أو يساره، فبكت، ثم سارّها فبكت، ثم سارها الثانية فضحكت، فلما قام قلت لها: خصّك رسول الله بالسر وأنت تبكين، عزمت عليك بما لي عليك من حق لما أخبرتني مم ضحكت؟ ومم بكيت؟ قالت ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، فلما توفي قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من حق لما أخبرتنيْ قالت: أما الآن فنعم، في المرة الأوليٰ حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام في هذه السنة مرتين، وإني لا أحسب ذلك إلا عند اقتراب أجلي، فاتقي الله واصبري، فنعم السلف لك أنا، فبكيت، فلما رأىٰ جزعي قال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين **(وفيْ رواية: ثم أخبرني أنني أسرع أهله به لحوقًا)** قالت: فضحكت[1].

وبعد الوفاة:

ولما توفي أبوها تعلقت آمالها بميراثه، وجاءت تطلب ذلك من أبي بكر الصديق، فحدثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا نورث ما تركناه صدقة**» فوجدت عليه ثم تعللت **(أي تلهت عنه وتشاغلت)**.

وروي أنه لما مرضت فاطمة أتيٰ أبو بكر فاستأذن، فقال علي: «يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك، فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم.

قال الذهبي: عملت السنة، فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره.

وفاتها:

كانت وفاتها بعد وفاة أبيها بستة أشهر، حيث دعت إليها أم رافع مولاة أبيها عليه الصلاة والسلام، فقالت لها بصوت واهن خفيضٍ: أماه اسكبي لي غسلاً.

واغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل، ثم لبثت ثيابًا لها جددًا، واضطجعت واستقبلت القبلة تتهيأ للقاء ربها ولقاء أبيها، ثم أغمضت عينيها ونامت، وقام علي فحملها باكيًا ودفنها ليلًا في البقيع، ثم ودعها وعاد محزونًا إلىٰ صغاره.

---

(1) أخرجه ابن عساكر (1/ 289)، والطحاوي في مشكل الآثار 7/ 413.

لقيت فاطمة ربها وهي في الثلاثين من عمرها أو دونها بقليل، ولكنها قد أدت للبشرية حقها في إنجاب الحسن والحسين ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهم جميعًا.

خواطر وعبر:

1- في نشأة السيدة فاطمة رضي الله عنها إرشاد لكل أب وكل أم حتىٰ يكون لهما «**شاب نشأ في طاعة الله**»، ورغم كون فاطمة البنت الصغرىٰ إلا أنها لم تكن المدللة التي لا تتحمل المسئولية؛ وإنما نشأت في زهد وجدية.

2- حياء فاطمة كان واضحًا في يوم زفافها، وعندما استحيت أن تطلب الخادم من أبيها ولو كان غيرها مكانها لاشتكت وبكت لمعرفتها قدرها عند أبيها.

3- **في قصة زواجها منارة لكل فتىٰ وفتاة وكذلك للآباء، ففيه:**

* التيسير في المهر.
* تبسط النبي ﷺ مع زوج ابنته
* بساطة المسكن
* الوليمة التي بذل فيها المال، فهىٰ سنة النبي ﷺ
* مجاملات العرس باب من أبواب التكافل لا من أبواب الديون
* الدعاء للعروسين بالبركة أمر هام، ودعاء الوالد لولده مستجاب.

4- **تقدم لنا فاطمة النموذج الرائع في الزهد والتقشف، وهي سيدة نساء أهل الأرض:**

* في جهازها
* في عملها بالمنزل وإرهاقها رغم ضعف صحتها ونحول جسدها.
* زهدها في الحلي والذهب

5- إن في ذكر الله تعالىٰ القوة لمن أرادها؛ قوة نفسية؛ روحية؛ وأيضًا جسمانية لكل امرأة تطلب من الله أن يعينها في كفاحها الدنيوي، وأنه لسكينة لقلبها ونعيم دائم لها في الآخرة.

6- الخلافات الزوجية طبيعة الحياة الدنيا، ولا توجد حياة بلا خلافات إلا في الجنة ؛ فعلينا إذن محاولة الحد من حدتها وجنوحها ، وفي حياة فاطمة رضي الله عنها القدوة والمثل الأعلىٰ

7-وقد علمها النبي ﷺ-كما علم كل فتاة وامرأة- كيف تكسب قلب زوجها عندما قال لها « **لاإمرة لامرأة لا تأتىٰ هوىٰ زوجها** » وقد استجابت بالفعل، كذلك علىٰ

كل أب أن يوصىٰ ابنته بتلك الوصية الرائعة ، والتي تعد مفتاحا لباب السعادة الزوجية ، وهىٰ تشبه وصية الأم التي قالت لابنتها: « **كونىٰ له أمة يكن لك عبدا** »

8-والعجيب أن عليًّا عندما سمعهما لم يتعالَ ويقول لها: أرأيت أنك أخطأت و....و...ولكنه عزم علىٰ ألا يغضبها مرة أخرىٰ ، وهذا ينبع من نبل أخلاقه ، وصدق نيته ، وحبه لزوجه.

9- نلمس في حياة فاطمة وعلىٰ روح الحب والود والوفاء في كل دقيقة تمر من حياتهما الزوجية،وهىٰ هبة الله تعالىٰ ومنّته ، يعطيها من يشاء من عباده، وهذه رسالة لكل فتاة تتمنىٰ أن تمتد الرومانسية طوال حياتها مع زوجها لا في فترة الخطوبة فقط.

10- عمر خير نساء البشر كان قصيرًا؛ لكنه امتلأ نورًا يشع علىٰ البشرية إلىٰ يوم القيامة.

* * *

obeikandl.com